



<https://kujhs.uokirkuk.edu.iq/>

The position of the Mamluk Sultan Al-Ashraf Qaitbay (872-901 AH/1467-1496 AD) Regarding the rebellion of Prince Dalghadari Shah Siwar

M.Dr. Mukhlaf Abdullah Salih Al Jubory

Kirkuk University

College of Education for women

mukhlifabdullah@uokirkuk.edu.iq

تاريخ القبول 2024-11-27

تاريخ التعديل 2024-11-18

تاريخ الارسال 2024-10-30

Abstract

The study of the position of the Mamluk Sultan Al-Ashraf Qaitbay (872-901 AH/1467-1496 AD) regarding the rebellion of Prince Dalghadari Shah Siwar is one of the important studies that many historians have overlooked and which had a significant impact on the policy of the Mamluk state, as the Dalghadr Emirate was subordinate to it and the Mamluks were not. They allow this emirate to depart from their dependence, and the emirate served as a barrier between them and the Ottoman Empire.

Prince Dalghadari rebelled against the Mamluk state under circumstances that enabled him to benefit from it. The state was going through difficult circumstances before Sultan Al-Ashraf Qaitbay came to power. The country's sultan, Khashkadam, was on his sick bed when the news of Tamr Shah Siwar arrived. After his death, three sultans succeeded in ruling the Mamluk state. A period of less than four months

After Sultan Qaitbay came to power, he did not accept Prince Dalal's departure from his rule, so he sent three military campaigns against him. Prince Dalal Ghadri was victorious in the two campaigns. The first was acceptable in fighting the third. The Mamluks were able to defeat Shah Siwar and he remained in control of the country. He was taken prisoner with a number of his brothers and relatives in Cairo. Drought, famine, and Shah Siwar's cunning cooperated to prolong the rebellion, which cost the Mamluk state much in human and material reduction

Keywords: Al-Ashraf Qaitbay, Prince Dalghadari Shah Siwar.

Doi: 10.32894/1992-1179.2024. 19.02.02.34

موقف السلطان المملوكي الأشرف قايتباي (872 - 901هـ/1467-1496م) من تمرد الأمير الدلغادري

شاه سوار

م.د.مخلف عبدالله صالح الجبوري*

جامعة كركوك

كلية التربية للبنات

mukhlifabdullah@uokirkuk.edu.iq

الملخص

تعد دراسة موقف السلطان المملوكي الأشرف قايتباي (872 - 901هـ/1467-1496م) من تمرد الأمير الدلغادري شاه سوار، من الدراسات المهمة والتي غفل عنها كثير من المؤرخين والتي كان لها اثر كبير على سياسة الدولة المملوكية فقد كانت اماره دلغادر تابعه لها ولم يكن المماليك يسمحون بخروج هذه الامارة عن تبعيتهم كما ان الامارة كانت بمثابة حاجز بينهم وبين الدولة العثمانية.

تمرد الامير الدلغادري على الدولة المملوكية في ظروف مكنته من الاستفادة منها فقد كانت الدولة تمر بظروف صعبة قبل وصول السلطان الاشرف قايتباي للسلطة، فقد كان سلطان البلاد خشقدم على فراش المرض عند وصول اخبار تمر شاه سوار، وبعد وفاته تعاقب على حكم الدولة المملوكية ثلاثة سلاطين في مدة اقل من اربعة اشهر. وبعد وصول السلطان قايتباي للسلطة لم يقبل بخروج الامير الدلغادري عن حكمه فارسل ثلاث حملات عسكرية ضده انتصر الامير الدلغادري في الحملتين الاولى والثانية وفي الحملة الثالثة تمكن المماليك من الانتصار على شاه سوار والسيطرة على بلاده واخذ اسيراً مع عدد من اخوته واقاربه ليعدم في القاهرة. فقد تعاون كل من القحط والمجاعة، ودهاء شاه سوار على طول مدة التمرد الذي كلف الدولة المملوكية الكثير من الخسائر البشرية والمادية.

كلمات مفتاحية: قايتباي ، شاه سوار ، الحملة العسكرية، الدولة المملوكية، الابليستين.

المقدمة

ان دراسة موقف السلطان المملوكي الاشرف قايتباي (872 - 901هـ/1467-1496م) من تمرد الامير الدلغادري شاه سوار من الدراسات المهمة والتي تستحق الدراسة والبحث وذلك للتعرف على علاقة الدولة المملوكية بإمارة دلغادر التركماني في حقبة زمنية صعبة حيث لم تعد الدولة المملوكية صاحبة الكلمة الوحيدة في المنطقة بعد سطوع نجم الدولة العثمانية والانتصارات الكبيرة التي حققتها ولا سيما بعد فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الثاني (الفاتح)، كما ان الدولة المملوكية في تلك الحقبة كانت تمر بأصعب ظروفها ، كما ان ظهور الامير اوزون حسن (حسن الطويل) زعيم إمارة الاق قوينلو على مسرح اثر في احداث المنطقة، كانت امارة دلغادر التركمانية تابعة للدولة المملوكية وكان المماليك يعدونها احد املاكهم، ولا يقبلون بخروجها عن تبعيتهم.

تهدف الدراسة على التعرف على امارة دلغادر التركمانية والتي كانت تابعة للدولة المملوكية اسماً الا انها كانت تخرج في كثير من الاحيان عن سلطتهم وتكون تابعة للدولة العثمانية فكل من الدولتين كان يريد ان تكون من املاكه، تميز الامير شاه سوار وهو احد امراء دلغادر بقوة الشخصية والدهاء العسكر فقد تمرد على الدولة المملوكية في ظروف مكنته من الاستقادة منها فقد كانت الدولة المملوكية تمر بظروف صعبة قبل وصول السلطان الاشرف قايتباي للسلطة فقد كان السلطان خشقدم على فراش المرض وبعد وفاته تعاقب على حكم الدولة ثلاثة سلاطين في مدة اقل من اربعة اشهر. وبعد وصول السلطان قايتباي للسلطة لم يقبل بخروج الامير الدلغادري عن حكمه فارسل ثلاث حملات عسكرية ضده انتصر الامير الدلغادري في الحملتين الاولى والثانية وفي الحملة الثالثة تمكن المماليك من الانتصار عليه والسيطرة على بلاده واخذ اسيراً

مع عدد من اخوته واقاربه ليعدم في القاهرة ، فقد تعاون كل من القحط والمجاعة ، ودهاء شاه سوار على طول مدة التمرد الذي كلف الدولة المملوكية الكثير من الخسائر البشرية والمادية.

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي الذي يقوم على دراسة المصادر التاريخية والدراسات الحديثة وجمع المعلومات ونقدها وتحليلها وعرضها بدقة بأسلوب علمي، ومحاولة استنتاج النصوص، ووصف الوقائع التاريخية بالاعتماد على ما توصلت إليه من معلومات موثوقة والتعريف بالأماكن والشخصيات والمصطلحات والمفاهيم الواردة في الدراسة.

واقترضت طبيعة البحث تقسيمه الى مبحثين يسبقها ملخص وتتلوها خاتمة ذكر فيها ابرز النتائج التي توصل اليها البحث واشتمل المبحث الاول على لمحة تاريخية عن امارة دلغادر، والموقف الاقليمي قبيل وصول السلطان المملوكي قايتباي للسلطة، والممالك وفتنة شاه سوار، اما المبحث الثاني فقد سلط الضوء على اجراءات السلطان قايتباي ضد فتنة شاه سوار، والحملة الأولى (872هـ/1467م) ضد شاه سوار والتي انصر فيها على الجيوش المملوكية، واسباب فشل الحملة، ووصول اخبار الهزيمة الى القاهرة واجراءات السلطان قايتباي، ثم الحملة الثانية (873هـ/1468م)، والتي انتصر فيه شاه سوار ايضاً، واخيراً الحملة الثالثة (875هـ/1470م)، والتي انتصر فيها المماليك واسر شاه سوار واعدم في القاهرة.

المبحث الاول

اولاً: لمحة تاريخية عن امانة دلغادر

امارة تركمانية نزحت نحو الاناضول من اسيا الوسطى فراراً من الغزوا المغولي، لتكون في المنطقة الحدودية بين الدولتين المملوكية، والعثمانية، وكانت في بديّة تأسيسها تابعة اسمياً للدولة المملوكية، وحكمت حوالي 190 سنة (740- 928هـ / 1339-1521م)، في ملطية⁽¹⁾ والبستان (الابلاستين)⁽²⁾، ومؤسس هذه الامارة هو الامير زين الدين قره جه الدلغادري (740- 780هـ / 1339-1378م)، وبعد وفاته خلفه ابنه الامير خليل (780هـ- 788هـ / 1378-1386م) الذي فتح مرعش⁽³⁾ وملطيه، وخربوت⁽⁴⁾، وبهنا⁽⁵⁾، وتختلف المصادر في تواريخ هذه الفتوح (ابن اجا، 1986، الصفحات 20-30) وقد قتل كل من الامير زين الدين قره جه وابنه الامير خليل في معاركهم ضد المماليك، وبعد مقتل الامير خليل استلم حكم الامارة اخوه الامير سولي بك (788- 800هـ/ 1386-1397م) (ابن اجا، 1986، الصفحات 25-27)، الذي حارب المماليك

¹ ملطية : مدينة تركية على نهر الفرات قرب التقاء نهري قره صو، ومراد صو وفتحها المسلمون عنوة في العهد الاموي على يد القائد حبيب بن مسلم الفهري، ثم هجم عليها قسطنطين ملك الروم فخر بها سنة (133هـ / 750م) ثم جدد بناءها الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور . (ياقوت الحموي، 2007، صفحة 192/5؛ موستراس، 2002، صفحة 468).

² الابلاستين: وتسمى البستان تقع على سفح جبل البستان شرقي قيصيرية من مدن الثغور، ايام الروم، وسميت بالبستان من قبل صاحبها (جهاناما اوليا جلي)، وهي اليوم ضمن الاراضي التركية. (ياقوت الحموي، 2007، صفحة 75/1؛ موستراس، 2002، صفحة 91).

³ مرعش : سماها الروم مراسيون وهي مدينة تقع بين بلاد الشام، وبلاد الروم لها سوران وخندق في وسطها حصن حوله سور يعرف بالمرواني بناه الخليفة الأموي مروان بن محمد، ثم حصنها الخليفة العباسي هارون الرشيد. (ياقوت الحموي، 2007، صفحة 107/5).

⁴ خربوت او خرت برت: من مدن الاناضول الشرقية ، وتقع شمال غرب ديار بكر على بعد (95) كيلو متر بينها وبين ملطية مسيرة يومين، وبينهما الفرات وهي على ارتفاع (1237) متراً فوق مستوى سطح البحر اصل تسميتها ارمني تعني قلعة الحجر. وكان المسلمون يسمونها حصن زياد. (ياقوت الحموي، 2007، صفحة 355/2؛ موستراس، 2002، صفحة 258).

⁵ البهنا : هي قلعة حصينة في شمال حلب على الرافد الايمن لنهر الفرات وبها بساتين ونهر صغير واسواق وبها مسجد وجامع وتقع غرب عينتاب. (موستراس، 2002، صفحة 180).

وانتصر عليهم في بعض المواقع فاعترفوا له بالسيادة على البستان، وقتل آخر الأمر بتدبير من قبل السلطان المملوكي الظاهر برقوق⁽⁶⁾، وجاء بعده في حكم الإمارة ابن أخيه محمد بن خليل (801-846هـ/1397-1442م) (القرماني، 1992، صفحة 100/3)، وتعاقب على حكم هذه الإمارة إحدى عشر اميراً، وتعرضت للغزو التيموري الذي اكتسح أراضيها، كما تعرضت للغزو الصفوي على يد الشاه إسماعيل الصفوي (907-931هـ/1501-1524م) الذي خرب مدنها، ولم يكف بذلك بل نبش قبور زعمائهم، وكانت نهاية الإمارة على يد السلطان العثماني سليم الأول (918-927هـ/1512-1520م) سنة (928هـ/1521م) (لين بول، 1974، الصفحات 452/2-460).

ثانياً: الموقف الاقليمي قبيل وصول السلطان المملوكي الاشرف قايتباي⁽⁷⁾ للسلطة

شهدت الحقبة التاريخية قبيل وصول السلطان قايتباي للسلطة اختلالاً في موازين القوى، فلم تبقى الدولة المملوكية هي صاحبة الكلمة العليا في المنطقة، وذلك بعد بروز الدولة العثمانية في منطقة اسيا الصغرى، ولاسيما بعد محاولة الامير الدلغادري ملك أرسلان⁽⁸⁾ التقرب من العثمانيين، او على الاقل ان تكون علاقاته

⁽⁶⁾ السلطان الظاهر برقوق: مؤسس دولة المماليك الجراكسة سنة (784هـ/1382م) جلب من بلاد الجركس وبيع ببلاد القرم ومن ثم الى القاهرة فاشتره الامير يلبيغا الخاصكي، واعتقه وجعله من مماليكه، وعرف ببرقوق العثماني نسبة الى بائعه فخر الدين عثمان ابن مسافر، وسمي برقوق لجحوظ في عينيه وتقل في المراتب حتى اصبح سلطاناً سنة (784هـ/1382م) ثم عزل من السلطنة ثم عاد اليها وبقي سلطاناً حتى توفي سنة (801هـ/1398م). (ابن تغري بردي، موارد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، 1997، الصفحات 118/2-120؛ السخاوي، 1992، الصفحات 10/3-11).

⁽⁷⁾ الاشرف قايتباي: قايتباي المحمودي الظاهري الجركسي الملك الأشرف سيف الدين ابو النصر، تولى الحكم سنة (872هـ/1467م)، وهو جركسي الجنس، والد في بلاد الجركس جلبه الخوجة محمود الى مصر ولذلك عرف بالمحمودي اشتراه السلطان الأشرف برسباي، وعند سلطنة الظاهر جقمق اعتق، وتقلد عدة مناصب، حتى اصبح اتابكاً للعسكر في عهد السلطان تمرغا، واصبح سلطاناً بعد خلع تمرغا وقد امتنع عن قبول السلطنة في بادى الامر ثم قبلها تحت ضغط الامراء، توفي 27 ذي القعدة سنة (901هـ/1495م) ودامت سلطنته 29 سنة و4 اشهر و20 يوماً. (ابن تغري بردي، موارد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، 1997، الصفحات 185/2-186؛ السخاوي، 1992، الصفحات 201/6-212).

⁽⁸⁾ ملك أرسلان بك بن سليمان الدلغادري (858-870 هـ / 1454 - 1465 م) تولى حكم الإمارة بعد وفاة والده الامير سليمان تقرب من السلطان العثماني محمد الثاني (الفتاح)، لذلك ساءت علاقته مع السلطان المملوكي خشقدم الذي دبر عميل الاغتيال "وأحد من عدى في الملوك وصارت له ضخامة ورياسة". (السخاوي، 1992، الصفحات 313/2-314).

متوازنة بين كل من العثمانيين، والمماليك الذين لم يكن هذا التقرب ليرضيهم، وعلى الرغم من الاعتذار الذي قدمه ملك ارسلان الدلغادري عن طريق رسوله الى السلطان المملوكي خشقدم (865-872 هـ/1461-1467م)⁽⁹⁾ في القاهرة " كون بلاده متاخمة لممالك ابن عثمان ولا طاقة له به" (ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، 1990، صفحة 501/3)

ويبدو ان الاعتذار لم يشفع للأمير ارسلان الدلغادري الذي اغتيل في القاهرة سنة (870 هـ/1465م) من قبل فداوي أثناء تأديته لصلاة الجمعة وكانت اصابع الاتهام تشير الى السلطان المملوكي الظاهر خشقدم" إن الفداوي كان أرسله الملك الظاهر خشقدم" (ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 1992، صفحة 345/16) بدأت العلاقات المملوكية الدلغادرية مرحلة جديدة من الصراع ، حيث أرسل السلطان المملوكي خشقدم تقليداً⁽¹⁰⁾ بنياية الابليستين مع الخلعة⁽¹¹⁾ الى الأمير شاه بوداق⁽¹²⁾، إذ ان هذا الاجراء اعتاد عليه السلاطين المماليك عند اختيارهم من يتولى نيابة الابليستين منذ تأسيسها ، بعد مقتل ملك ارسلان عين السلطان المملوكي الظاهر خشقدم شاه بوداق اميراً على إمارة دلغادر (السخاوي، 1992، صفحة 274/3) الذي كان معروفاً عنه انه موالى للمماليك ، اما السلطان العثماني محمد الفاتح (855-

⁹ الظاهر خشقدم: هو خشقدم الناصري المؤيدي الرومي الملك الظاهر سيف الدين ابو سعيد، تولى السلطنة في سنة 865 هـ/1460م، وكان رومي الجنس من الأرناؤوط، جلبه الخوارج ناصر الدين محمد فاشتره الملك المؤيد شيخ، وكان ملكاً جليلاً كفواً للسلطنة، محتشماً عاقلاً وقوراً شجاعاً، وفي نهاية سلطنته عظم امره وخافه الخاص والعام، الا ان مرض وطال مرضه حتى مات ؛ (ابن تغري بردي، موارد اللطافة في من ولي السلطة والخلافة، 1997، صفحة 175/2؛ ابن اياس، 2018، الصفحات 378/2-379).

¹⁰ التقليد: هو مرسوم تعيين موقع من قبل السلطان. (القلقشندي، 1992، صفحة 274/9؛ العميرة، 2010، صفحة 80)

¹¹ الخلعة: ما يخلعه الخليفة او السلطان او الامير على احد الناس من الثياب الفاخرة ممن ادوا للدولة خدمات مميزة وقد تكون الخلعة عينا أو مالا وهي في اغلب الاحيان لباس مؤلف من جبة مطرزة، وعمامة، وطيلسان، وسيف. (الخطيب، 1996، صفحة 165؛ العميرة، 2010، صفحة 116).

¹² شاه بوداق: بن سليمان حكم الامارة مرتين الاولى (871 هـ/1466م) والمرة الثانية (876-885 هـ/1471-1480م) عينه السلطان المملوكي اميراً على إمارة دلغادر الذي كان معروفاً عنه انه موالى للمماليك، توفي في مصر بمرض الطاعون سنة (903 هـ/1497م). (ابن اجا، 1986، صفحة 27؛ لين بول، 1974، الصفحات 458/2-460).

886هـ/1451-1481م)، فقد قدم مرشحه للإمارة وهو شاه سوار⁽¹³⁾ اخو شاه بوداق (ابن اجا، 1986، صفحة 27)، الذي كان لاجئاً لدى السلطان العثماني، وحمل هذا الترشيح الى القاهرة رسول السلطان العثماني في جمادي الاخرة سنة (870هـ/1465م)، ولم يلقِ شاه سوار مرشح السلطان العثماني تأييداً من قبل المماليك الذين اصرّوا على شاه بوداق، فساند العثمانيون شاه سوار بقوة عسكرية مكنته من ازاحة شاه بوداق عن قسم من اراضي الإمارة، حيث اصبح بوداق اميراً على مرعش، وشاه سوار اميراً على الابلسيتين، الا ان بوداق لم يحقق أي مكاسب ضد شاه سوار بسبب ضعف شخصيته اذا ما قورن بأخيه شاه اسوار، مما جعل السلطان المملوكي يأمر بعزل شاه بوداق وسجنه في حلب لتقصيره في محاربة اخيه شاه سوار (لين بول، 1974، صفحة 459/2)، وتتصيب عمه الامير رستم بن محمد ناصر الدين بدلاً عنه في شوال سنة (870هـ/1465م)، وعلى ما يبدو ان الامير رستم كان اضعف من شاه بوداق هذا ما اكده ابن تغري بردي "وأظن ان رستم هذا اضعف من شاه بضع في دفع شاه سوار" (ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 1992، صفحة 163/16).

طوال سبعة اشهر لم يحقق الامير رستم أي تقدم، او يحصل على أي مكاسب في حربه ضد شاه سوار، مما دفع السلطان المملوكي خشقدم الى عزله في ذي القعدة سنة (871هـ/1466م)، وإعادة شاه بوداق الذي كان سجيناً في حلب مكانه، الا ان شاه سوار قد سيطر على جميع ممتلكات الإمارة (ابن اجا، 1986، صفحة 27؛ لين بول، 1974، صفحة 459/2).

¹³ شاه سوار: بن سليمان الدلغادري (871-876هـ/1466-1471م) اصبح اميراً على إمارة دلغادر، أستعان بالسلطان العثماني محمد الفاتح، فأستولى على عدد من المدن والقلاع وخطب له فيها على المنابر وضربت السكة باسمه سنة (872هـ/1467م)، بلغت إمارة دلغادر في عهده اوج عظمتها واطلق عليها لقب (المملكة الدلغادرية)، كتب اسمه في المكان الذي يكتب فيه اسم السلطان المملوكي، كما ان أبناء الإمارة لم يقتربوا من الدور المدني إلا في عهده حارب شاه سوار المماليك وأنتصر عليهم في معارك عديدة، لكن المماليك تمكنوا في النهاية من اسره واعدامه. (السخاوي، 1992، الصفحات 274/3-275).

ثالثاً: المماليك وفتنة شاه سوار

لقد تمرد شاه سوار في ظروف تمكن من الاستفادة منها في حربه ضد الدولة المملوكية، إذ إن ظهور الدولة العثمانية، وتوجيه انظارها الى اسيا ولاسيما بعد فتح القسطنطينية سنة (857هـ / 1453م) على يد السلطان محمد الفاتح، لتصبح الدولة العثمانية من اقدر القوى في المنطقة، لذلك بدأت بالتدخل في شؤون الدولة المملوكية وخير دليل على ذلك فرض مرشحهم شاه سوار لتولي إمارة دغاغر على المماليك بالقوة. بدأ المماليك يتخوفون من العثمانيين، وتبدلت نظرهم إليهم من مشاعر الاعتزاز الى مشاعر الغيرة وأخذ الصراع على زعامة العالم الاسلامي يشتد بين الطرفين، وشجع هذا التحدي من قبل العثمانيين قوى أخرى على الظهور على مسرح الاحداث، الا وهي إمارة الاق قوينلو (بالخروف الابيض)⁽¹⁴⁾ مستغلة بذلك الخلل الذي اصاب توازن القوى في أسيا الصغرى، ومستفيدة من موقعها الحيوي على طرق التجارة البرية التي تربط الشرق بالغرب بعد ان تمكنت بقيادة زعيمها اوزون حسن (حسن الطويل)⁽¹⁵⁾ من أسقاط إمارة القره

(14) الاق قوينلو (الخروف الابيض) : قبائل تركمانية هاجرت من تركستان الى إذربيجان ثم جاءت الى اطراف ديار بكر واستقرت اخيراً في امد، والموصل ومؤسسها بهاء الدين قره عثمان ولقبه قرايلك سميت (بالخروف الابيض) لرسم الخروف الابيض على اعلامها (القرماني، 1992، الصفحات 91/3-98؛ لين بول، 1974، الصفحات 561/2-567).

(15) اوزون حسن : من ابرز امراء الاق قوينلو وكلمة اوزون تعني الطويل أي حسن الطويل وكانت مدة حكمه عشر سنوات (872-882هـ / 1467 - 1477م) اتسعت الإمارة في مدة حكمه وحارب الدولة العثمانية في زمن السلطان محمد الفاتح ثلاثة حروب انتصر في واحد وخسر في اثنان توفي سنة (883هـ / 1478م) (السخاوي، 1992، الصفحات 112/3-113).

قوينلو(الخروف الاسود)⁽¹⁶⁾ سنة (872هـ/1467م) والاستيلاء على المناطق التي كانت تابعة لها في العراق وبلاد فارس (الجواهري، 1990، صفحة 31).

فقد حاول اوزون حسن التحرش بالدولة المملوكية سنة (875هـ/1470م)، ربط مؤرخ المماليك المعاصر ابن اياس هجوم اوزون حسن على املاك الدولة المملوكية بالضرر الذي لحقهم من جراء تعاون العثمانيون مع شاه سوار إذ قال " حسن الطويل تحرك على أخذ البلاد الحلبية، وانه اظهر العداوة للسلطان وقد طمع في عسكر مصر بموجب ما فعله معهم سوار " (ابن اياس، 2018، صفحة 123/2) .

ادرك صاحب الطموحات السياسية الكبيرة والمتقلبة اوزون حسن ان الدولة المملوكية أصبحت غير قادرة على مقارعة ثلاث اعداء في ان واحد ، الدولة العثمانية التي اصبحت سيدة المنطقة، وتمرد شاه سوار واوزون حسن ، لذلك اقدم على الهجوم على الدولة المملوكية، والحقيقة لولا مساندة العثمانيين لشاه سوار لما استطاع الوقوف بوجه الدولة المملوكية ولا تجرأ اوزون حسن على التحرش بالدولة المملوكية .

اما المماليك ازاء هذا التصعيد الخطير للأوضاع، فقد قرر سلطانهم الظاهر خشقدم اتخاذ عدة تدابير منها:1- قرر إرسال حملة عسكرية عين لها سبعة من الامراء الالوف، الا ان تحرك هذه الحملة لم يتم واوكل مهمة التصدي لشاه سوار الى نيابة حلب (ابن اجا، 1986، صفحة 35؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 1992، صفحة 262/16) .

2- عزل شاه بوداق (اخو شاه سوار) ثم امر بسجنه في قلعة حلب بتهمة تقصيره في محاربة اخيه (ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، 1990، صفحة 548/3) ، ثم عين الأمير رستم بن

⁽¹⁶⁾ القره قوينلو(الخروف الاسود): اسرة تركمانية من قبائل الغز التركية استقرت في الموصل، جنوب بحيرة وان، ثم توسعت في اسيا وكونوا اسرة كبيرة اشتهر منهم قرا محمد، وابنه قرا يوسف الذي تزعم القبيلة بعد وفاة والده سنة (792هـ/1390م) وجعل تبريز عاصمة له، وحارب التيموريين ثم الجلائريين وأخيراً تمكن اوزون حسن من انهاء هذه الامارة . (لين بول، 1974، الصفحات 556/1-559).

ناصر الدين بن دلغادر بدلاً عنه وذلك في الخامس والعشرين من شوال سنة (871هـ/1466م) (ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 1992، صفحة 263/16).

3- أرسل الأمير قاني باي نائب طرابلس رسوياً إلى شاه سوار يعرض عليه نيابة الابلستين بشرط ان يحضر إلى حلب أو إلى مكان آخر قريب من أجل ان يلبس الخلعة ويقرأ عليه التقليد، أما بخلاف ذلك فسوف تعطى الأوامر إلى جيش حلب لمساعدة الأمير رستم بن ناصر الدين من أجل طرد شاه سوار وتوليته إمارة الابلستين مكانه، وبما ان شاه سوار رفض هذا العرض لشعوره ان في الأمر خدعة لاستدراجه إلى حلب والقاء القبض عليه، فقد أمر السلطان المملوكي الظاهر خشقدم في ربيع الأول سنة (871هـ/1466م) بخروج جميع نواب نيابة حلب بجيوشهم تحت قيادة نائب حلب الأمير يشبك البجاسي، حيث أمرهم بالتوجه نحو إمارة دلغادر وقتال شاه سوار وتعين الأمير رستم الذي رافق الجيوش المملوكية مكانه (ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، 1990، الصفحات 530/3-531؛ محمد، صفحة 8).

طوال سبعة أشهر لم يحقق الأمير رستم أي تقدم في صراعه ضد شاه سوار لذلك اضطّر السلطان خشقدم إلى عزله في ذي القعدة سنة (871هـ/1466م) وإعادة شاه بوداق في نيابة الابلستين، حمل الأمر السلطاني الأمير أردبس الدودار في ذي الحجة من السنة نفسها إلى بلاد الشام مع أمر بخروج نائب الشام بربك البشمقدار⁽¹⁷⁾، وكل من نائب حلب يشبك البجاسي، ونائب طرابلس قاني باي الحسني، ونائب حماة تنم الحسني فضلاً عن تركمان الطاعة⁽¹⁸⁾ بجيوشهم لقتال شاه سوار، إذ كان قائد الحملة الأمير بربك البشمقدار نائب الشام نفذت الجيوش الحلبية ومن معها الأمر السلطاني، فخرجت بقواتها حيث التقت هذه

⁽¹⁷⁾ البشمقدار: مصطلح مركب مكون من مقطعين الأول بشمق بمعنى النعل والثاني هو دار بمعنى ممسك ويطلق هذا اللقب على المملوك الذي يحمل نعل السلطان (السبي، 1986، صفحة 35؛ دهمان، 1990، صفحة 34).

⁽¹⁸⁾ تركمان الطاعة: هم مجموعة من القبائل التركمانية المنتشرة في بلاد الشام الذين يتقيدون بأوامر الدولة المملوكية في حالات الحرب وينصاعون لأوامر السلطان، كما ويلتزمون بدفع الضرائب المفروضة عليهم. واطلق عليهم هذا اللقب تمييزاً لهم عن باقي التركمان الذين كانوا على عداوة مع السلطة المملوكية (العميرة، 2010، صفحة 77).

الجيش في 5 ربيع الاول (872هـ / 1467م) بقوات شاه سوار (ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، 1990، صفحة 603/3) "ولكن حصل مالم يكن بالحسبان" (ابن اجا، 1986، صفحة 35) ، حيث اسفرت المعركة عن خسارة فادحة للقوات المملوكية قتل فيها عدد من الامراء منهم اتابك⁽¹⁹⁾ حلب وatabek حماة، ويشبك المؤيد احد مقدمي الالوف⁽²⁰⁾ بدمشق، كما فقد نائب طرابلس (ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، 1990، صفحة 603/3) اما باقي الجيش فقد " فقد انهزمت هذه التجريدة شر هزيمة واصبح بعضها مأسوراً وبعضها مقتولاً" (ابن اجا، 1986، صفحة 35) .

لم يتوقع احد من القادة ان هذا الجيش الكبير الذي ضم عدداً كبيراً من النواب، والقادة سوف يتعرض لمثل هذه الخسارة الكبيرة لقد كانت خسارة الممالك كبيرة جداً، ويكفي ان نشير الى تعقيب ابن تغري بردي على هذه المعركة كي نفهم مدى الخسارة حيث قال "ونهب القوم جميع ما كان في عسكر حلب...ونهب وطاق نائب حلب وقتل من مماليكه من أهل حلب والتركمان خلائق لا تدخل تحت حصر، غير اننا لا نعلم في هذا القرن بعد وقعة تيمور واقعه تشبه هذه من كثرة القتل والنهب"(ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، 1990، صفحة 364/3)، كما وصف تراجع نائب حلب نحوها " دخل الى حلب على أقبح وجه فصار الناس بهذا المقتضى كالغنم بلا راع " (ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 1992، الصفحات 323-324).

رغم التحضيرات الكبيرة التي قام بها الممالك وكثرة جيوشهم الا انهم خسروا المعركة امام شاه سوار فكانت خسائرهم كثيرة جداً ، مما حدى بالمؤرخين المعاصرين ان يصفها مثل وقعة تيمور ، وان الجيش بلا قادة

⁽¹⁹⁾ اتابك: لفظ مركب من (اطا، او اتا) بمعنى أب وكلمة (بك) بمعنى السيد أو الأمير وهو القائد العام للجيش (القلقشندي، 1992، صفحة 18/4؛ العميرة، 2010، صفحة 13).

⁽²⁰⁾ مقدم الف: أعلى مراتب الأمراء في العصر المملوكي، ويكون في خدمة صاحبها مائة مملوك كحد أدنى وقد يصل العدد الى 120 مملوكاً. ولأصحاب هذه الرتبة امتيازات خاصة منها دق الطبول على أبوابهم. (القلقشندي، 1992، صفحة 14/4؛ العميرة، 2010، صفحة 49).

فهرب الجميع لا يلوي أحداً على أحد، الكل همه النجاة بنفسه، أما الخسائر المادية فكانت كثيرة إذ لا يمكن إحصاؤها . فلم يكن احد يتوقع هزيمة الجيوش المملوكية بهذه الصورة من ثائر مثل شاه سوار (ابن اجا، 1986، صفحة 35).

بعد هذه الهزيمة فقدت الدولة المملوكية سيطرتها على عدد من مدن الإمارة التي أصبحت بيد شاه سوار مثل الابلستين، وعينتاب⁽²¹⁾، ومرعش، كما تمكن من أخذ مدن أخرى كانت تابعة ادارياً لنيابة حلب مثل انطاكية وادنة⁽²²⁾ (ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، 1990، صفحة 605/3).

بعد وصول أخبار الهزيمة الى القاهرة اضطربت المدينة، وكردة فعل من قبل السلطان المملوكي الذي كان مريضاً جهز جيشاً أعظم من الجيش الاول ، إلا ان المنية حالت دون إرساله إذ توفي السلطان خشقدم في 10 ربيع الاول سنة (872هـ/1468م) ، ثم وصلت الأخبار فيما بعد ان نائب الشام كان متواطئاً مع شاه سوار ، فكان السبب المباشر في هزيمة الجيش المملوكي (ابن اجا، 1986، الصفحات 35-36).

ازدادت الأمور تعقيداً على المماليك بعد وفاة سلطانهم خشقدم لتدخل بلادهم حقبة من حقب الخلل السياسي وضعف السلطة المملوكية⁽²³⁾، إذ تعاقب على حكم الدولة المملوكية اربع سلاطين خلال خمسة أشهر فكان من الطبيعي ان ينعكس هذا الوضع سلباً على أحوال الدولة التي سادها الاضطراب والفوضى لتشمل الفوضى مصر كله (ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 1992، الصفحات 16/394-396).

(21) عينتاب: قلعة حصينة ورستاق بين حلب وانطاكية ، وكانت تعرف بدلوك وهي الان من اعمال حلب. (باقوت الحموي، 2007، صفحة 176/4؛ موستراس، 2002، صفحة 368).

(22) ادنة : مدينة في الجزء الاوربي من تركيا ، تقع على ملتقى نهر مريج وطونجة وفيها اثار جميلة انتزعها السلطان مراد الاول سنة(762هـ/1360م) من ايدي اليونان فكانت عاصمة الامبراطورية العثمانية حتى فتح القسطنطينية. (موستراس، 2002، الصفحات 35-36).

(23) تولى في 10 ربيع الاول سنة (872هـ/1467م) يوم وفاة الظاهر خشقدم السلطان ابو النصر بلباي المعروف بالمجنون حيث حكم 56 يوماً ، ثم خلع ، وتولى بعده تمرغا الظاهري الذي حكم 58 يوماً ، ثم حكم بعده خايربك الذي تسلمن ليوم واحد فقط ، ثم الاشرف قايتباي . (ابن اياس، 2018، الصفحات 2/466-467).

استفاد شاه سوار من ظروف الفوضى التي عصفت بالمماليك حيث التف حوله عدد كبير من جيوش التركمان وقويت شوكته، أما امراء الدولة المملوكية فقد تمكنوا من الخروج من هذه الازمة باختيارهم السلطان الاشرف قايتباي في 6 رجب (872 هـ/1467م) الذي كان يتمتع بشخصية قوية، إذ وصفه ابن اجا بقوله "هو في نظري أعظم ملك من المماليك الشراكسة" (ابن اجا، 1986، صفحة 36).

يعد السلطان قايتباي من أقدر ملوك الجراكسة حيث كانت لديه مقدرة كبيرة على القيادة وشخصية قوية إذ تمكن من الخروج بالدولة المملوكية من هذه الازمة، فتمكن من القضاء على التمرد الذي حدث داخل إقليم مصر وكاد ان ينتهي حكم الجراكسة في مصر.

المبحث الثاني

أولاً: اجراءات السلطان قايتباي ضد فتنة شاه سوار

اتبع السلطان الاشرف قايتباي سياسة جديدة في مواجهة تمرد شاه سوار، تختلف عن الاسلوب الذي كان متبعاً على عهد السلطان خشقدم، فبعد فشل نواب حلب، والشام في التصدي لشاه سوار، قرر ان لا يعتمد عليهم كلياً في هذه المهمة.

لم تكن مهمة السلطان المملوكي الاشرف قايتباي سهلة فقد استمرت الحرب بين الطرفين في مدة حكمه خمس سنوات أضطر خلالها الى إرسال ثلاث حملات عسكرية قبل ان يتمكن في النهاية من انتهاء تمرد شاه سوار (الزهيري، 1991، صفحة 120).

ثانياً: الحملة الأولى (872هـ/1467م)

بعد عدة ايام من توليه الحكم امر السلطان قايتباي بخروج حملة عسكرية من مصر، ونظراً لأن خزينة الدولة كانت في وضع سيئ فقد أخذ عدة اجراءات مكنته من تهيئة النفقات اللازمة من أجل خروج الحملة العسكرية.

الاول : مصادرة بعض اموال عدد من اعيان الناس والمتنفذين في الدولة مثل خاير بك الذي استحصل منه ستين الف دينار وشهاب احمد العيني اخذ منه مائتي الف دينار .

الثاني : الاستفادة من الأموال التي جمعها من أولئك اللذين شغلوا بعض مناصب الدولة مقابل مبالغ من المال تفرضها الدولة عليهم مثل الأمير شادبك الجلباني الذي عين اتابك لدمشق مقابل ثمانية الاف دينار، والأمير يشبك السيفي الذي عين في نيابة حلب مقابل ستة الاف دينار (ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، 1990، الصفحات 618/3-623-627).

الثالث : اخذ مبلغ مائة دينار كبذل عن كل شخص لا يرغب في السفر وقتال شاه سوار (ابن اجا، 1986، صفحة 38) .

حاول المماليك ابعاد العثمانيين عن دائرة الصراع، وتهدة العلاقات معهم قبل خروج الحملة فأرسل السلطان قايتباي وفد الى السلطان العثماني محمد الفاتح الذي استقبلهم وكرم وفادتهم، كما أرسل بعثة الى مصر من اجل تقديم التهنة للسلطان المملوكي قايتباي بمناسبة توليه العرش (نافع، 2005، صفحة 70).

يبدو ان الوفد نجح سياسياً، الا انه لم ينجح على أرض الواقع، وذلك بسبب كثرة تحركات شاه سوار وعلاقته الجيدة بالسلطان العثماني ، فضلاً عن اقتضاء مصالح العثمانيين الوقوف الى جانب شاه سوار في هذه المرحلة ، كل ذلك قلل من شأن هذه الخطوة (ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، 1990، صفحة 226/3).

خرجت الحملة العسكرية من مصر يوم الاثنين في 12 شعبان سنة (872هـ/1467م) وانفق عليها السلطان امولاً كثيرة فقد صرف لها رواتب اربعة اشهر معجلاً، فضلاً عن الكسوة واعطى لكل منهم جملاً وقدم لها كل ما يمكن تقديمه (ابن اياس، 2018، صفحة 9/3)، وكانت تحت امرة الاتابك جانبك قلقيز، مع عدد كبير من الامراء والمماليك السلطانية⁽²⁴⁾ فلما وصلت الى بلاد الشام أنضم اليها نائب الشام ازبك بن ططخ،

²⁴المماليك السلطانية: اهم فرقة في الجيش المملوكي وهي مرتبطة بالسلطان وتمثل أعظم الاجناد شأناً، وأرفعهم قدراً ، وأكثرهم إقطاعاً، وأقربهم إلى السلطان، ومنهم الامراء، وتقسّم الى قسمين رئيسيين: الاول وهم المشتروات الذين يشتريهم السلطان القائم في الحكم، ويسمون أجلاب أو جلبان، والثاني:

ونائب طرابلس اينال الاشقر, ونائب صفد دمرداش العثماني, كما أنضم اليهم تركمان الطاعة وامراء العرب (ابن تغري بردي, حوادث الدهور في مدى الايام والشهور, 1990, الصفحات 629/3-645).

اتجهت القوات المملوكية نحو مدينة عينتاب في 26 رمضان سنة (872هـ / 1467م), فاستولت عليها, وبينما كانت الاستعدادات جارية من أجل السيطرة على قلعتها, وصلهم خبر من الأمير ابي بكر بن صالح - الذي أرسل كي يطلع على مكان شاه سوار - يعلمهم ان شاه سوار مرابط عند جبل يقال له (صوف) على مقربة من مدينة عينتاب, وبعد اتمام السيطرة على المدينة عينتاب (ابن تغري بردي, حوادث الدهور في مدى الايام والشهور, 1990, صفحة 630/3), توجهت القوات نحو شاه سوار الذي انسحب أمامهم مستدرجاً هذه القوة نحو المضايق والمسالك الوعرة, مستغلاً بذلك درايته بمسالك الطرق إذ أخفى الرماة بين الاشجار وعلى رؤوس الجبال, وفي 7 ذي القعدة التقى الطرفان في معركة فاصلة تمكن شاه سوار من ايقاع هزيمة كبيرة بالمماليك, وصفها المؤرخون على انها "كسرة شنيعة" (ابن اجا, 1986, صفحة 39; ابن اياس, 2018, صفحة 12/3) أسر خلالها قائد الحملة الاتابك قلقسيز وكل من الأميرين طاز الاشرفي وتمرباي, كما أسر عدداً كبيراً من الامراء على اختلاف مكانتهم العسكرية, فضلاً عن عدد من المماليك, وبدأ شاه سوار يساوم المماليك بشأن اطلاق سراحهم, فقد طلب من اجل اطلاق سراحهم مبالغ تراوحت بين تسعة آلاف دينار واربعة وثلاثون ألف دينار حسب مركز الاسير وأهميته. (ابن تغري بردي, حوادث الدهور في مدى الايام والشهور, 1990, صفحة 644/3) اما من قتل من الامراء والجند يصعب احصاؤهم, اما الذي سلم منهم دخل حلب على اسوأ حال من شبه العري والمشي (ابن اياس, 2018, صفحة 12/3).

المستخدمون وهم المماليك الذين انتقلوا الى خدمة السلطان القائم من سلاطين سابقين (قرانيص) أو من امراء سابقين (سيفية). (القلقشندي, 1992, الصفحات 15/4-16; العميرة, 2010, صفحة 306).

ثالثاً: اسباب فشل الحملة

ترجع أسباب هذه الهزيمة حسب تعقيبات ابن تغري بردي، وهو مؤرخ معاصر وله صلة بالدولة باعتباره من طبقة المماليك، الى غياب القيادة الموحدة، فإنه اشار الى ان جانبك قلقسيز قائد الحملة لم يكن له امر ولا نهى بل كانت الكلمة العليا لأزبك بن ططخ نائب الشام، كما قارن بين القوات المملوكية وشاه سوار فيصف القوات المملوكية "كالمتوجه الى صيد، ولا يلوي احد على احد" كما يصفها في نص اخر " من غير تطليب ولا ترتيب ولا تعبئة ولا امير عليهم"، اما شاه سوار "حشد العساكر، وأكمن الكمائن، وحصن القلاع، كل ذلك وفي ظنه انه مهزوم". (ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، 1990، صفحة 646/3).

جاء انتصار شاه سوار بفضل الحملة التي أرسلها له السلطان العثماني محمد الفاتح، فضلاً عن ما غنمه شاه سوار من الجيش المملوكي من اموال وخيول وسلاح وعدة الحرب، حيث تمكن من الاستيلاء على عينتاب ثم حاصر قلعة طرنده واخذها عنوة ، وبدأ الاستعداد للهجوم على حلب (ابن اياس، 2018، صفحة 13/3) بذلك يكون شاه سوار انفصل تماماً عن الدولة المملوكية ، فضرب السكة باسمه وخطب له على منابر الابلسيتين واطلق على امارته اسم (المملكة الدلغادرية) ، ثم أصدر مرسوماً كتب فيه أسمه المظفر شاه سوار في الموضع الذي يكتب فيه اسم سلطان الدولة المملوكية (الصيرفي، 1970، الصفحات 29-30)، وكتب هذا المرسوم من أجل تنظيم حركة التبادل التجاري وحرية انتقال ارباب المهن بين مملكته وبين مدن الشام وهذا نصه: " ان المقر الكريم العالي المولوي الأميري الكبير الزيني المظفري اعز الله انصاره وضاعف اقتداره اشار الى الامن والامان بالدليل والبرهان بين التجار والقوافل وأبناء السبيل وغيرها من ارباب البيع والشراء والفلاحين والحراثين والصادرين والواردين والمترددن بالمملكة الشامية والحلبية والطرابلسية

وغيرها من الغرباء واهل البلاد بالحضور التام بين الناس والانام الى المملكة الدلغادية فمن حضر فيها يكونون امنين على انفسهم واموالهم وذرايهم ودوابهم من غير تعارض ولا تمانع ولا تراجم والله يحرسه بالملائكة المقربين والانبياء المرسلين بحق محمد واله اجمعين والله على ما نقول خبير ومالنا من دون الله من ولي ولا نصير ان شاء الله تعالى. كتب في مستهل اول ربيعين من سنة 873 والحمد لله وكفى وصلى الله على محمد المصطفى" (ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، 1990، صفحة 686/3؛ الصيرفي، 1970، الصفحات 29-30).

بمقام مدينة الابلستين.

اراد شاه سوار الاستفادة من الانتصارات التي حققها والحصول على مكاسب اكثر فطلب الصلح من المماليك وهو في قمة انتصاره، فأرسل رسوله الى القاهرة التي وصلها في 6 جمادى الآخرة سنة (873هـ/1468م)، الا ان السلطان المملوكي قايتباي رفض استقباله (ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، 1990، صفحة 697/3).

رابعاً: وصول اخبار الهزيمة الى القاهرة واجراءات السلطان قايتباي

اضطربت القاهرة على اثر وصول قانصوه الجيلاني الحاجب بدمشق الذي يحمل خبر هزيمة الجيش المملوكي، حيث كان يحمل رسالة من ازبك نائب الشام يخبر السلطان بأمر الهزيمة وان ازبك دخل حلب وهو مجروح في وجهه. اصاب السلطان وحاشيته الذهول وحار في الامر فقد كان الجميع يظن ان شاه سوار لا يمكنه الانتصار على هذا الجيش لكثرة عدده وعدته، ومما زاد الامور تعقيداً على المماليك وصول اخبار

جديدة مفادها ان جيش شاه سوار زادت قوته لانه استولى على اموال وخيول الجيش المملوكي وهو عازم على الزحف على حلب, كما سجن قلعسيز قائد الحملة في جب(بئر) (ابن اجا، 1986، صفحة 140).

على اثر هذه الاحداث عقد السلطان المملوكي قايتباي مجلساً استشارياً في القلعة للنظر في اخر التطورات في قضية شاه سوار , حضره الخليفة العباسي المستنجد بالله يوسف (859-884هـ/ 1454-1479م) (السيوطي، تاريخ الخلفاء، 2005، الصفحات 359-360)، والقضاة الاربعة⁽²⁵⁾، فضلاً عن عدد كبير من اعيان الدولة كما حضر الاجتماع شيخ الاسلام امين الدين يحيى الاقصراني (السخاوي، 1992، الصفحات 240/10-243) مع عدد من العلماء والامراء, حيث بيّن لهم السلطان خطر شاه سوار على الدولة المملوكية, كما وضع لهم اهم المعضلات التي تواجههم في ارسال حملة عسكرية جديدة, وهي:

1. النقص الذي تعاني منه الخزينة وكيفية ايجاد أفضل السبل من أجل تمويل الحملة العسكرية القادمة, فقد كان السلطان يريد اخذ اموال الاوقاف، والتجار، واصحاب المهن من اجل تغطية نفقات الحملة العسكرية، فأستفتى كل من الخليفة، والقضاة الاربعة، فوافق الخليفة وقسم من القضاة، الا انه فوجئ بموقف صلب من قبل شيخ الاسلام أمين الدين يحيى الاقصراني حيث قال "لا يحل للسلطان ان يأخذ اموال الناس الا بوجه شرعي، وإذا نفذ جميع ما في بيت المال ينظر الى ما في أيدي الامراء والجند وحلي النساء , فيأخذ منه ما يحتاج إليه وإذا لم يوفّ بالحاجة ففي ذلك ينظر في المهم ان كان ضرورياً في المنع عن المسلمين حل ذلك بشرائط متعددة" (ابن اجا، 1986، صفحة 41). لذلك فقد أخذ اجراءات جديدة اقترحها عليه الأمير يشبك الدوادر هي ان يتبرع الامراء كل حسب قدرته, وقد تبرع هو بمبلغ عشرون الف دينار. كما قام بمصادرة بعض الاموال لعدد من الشخصيات (ابن تغري بردي،

²⁵ كان القضاة هم. ولي الدين الاسيوطي الشافعي, ومحب الدين بن الشحنة الحنفي, وحسام الدين بن حريز المالكي, وعز الدين الحنبلي. (ابن اجا، 1986، صفحة 41).

حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، 1990، الصفحات 641/3-642؛ الزهيري، 1991، صفحة 119) .

2. كما أكد السلطان على ضرورة تمتع الجند المشاركين في هذه الحملة بقدرات عسكرية عالية، لذلك قام باستعراض الجند في 11 ربيع الاول سنة (873هـ/1468م) من أجل اعطائهم (الجامكية)⁽²⁶⁾ فكان يناول أحدهم قوساً قبل ان يسلمه المكافئة، فأن جذبه بقوة كتب اسمه في الحملة، وإلا ألزمه بدفع مائه دينار، وهذا دليل على عدم خروجه إذ استعاد من هذه الاموال في تجهيز الحملة (ابن اياس، 2018، صفحة 22/3).

خامساً: الحملة الثانية(873هـ/1468م)

تقرر إرسال حملة صغيرة كقوة استطلاعية مهمتها المساعدة في حماية بلاد الشام من هجوم محتمل لشاه سوار، والكشف عن احواله ثم يكون القرار في إرسال الحملة الرئيسة على ضوء ما تقرره هذه الحملة التي اوكلت مهمة قيادتها للأمير ازمر الابراهيمي الذي كان يحمل رتبة مقدم الف ، والامير قجماس الظاهري امير طبلخاناه⁽²⁷⁾ ، مع عدد من الامراء وخمسائة من المماليك السلطانية ، وأنفق السلطان على هذه الحملة الصغيرة اموالاً طائلة، فمنح الأمير ازمر قائد الحملة ستة الاف دينار، والأمير قجماس خمسمائة دينار، ومنح مائتي دينار لكل امير عشرة ، ومبلغ مئة دينار لكل مملوك مع مكافئة اربع اشهر معجلة (ابن اجا، 1986، صفحة 43).

²⁶ الجامكية : مصطلح فارسي ويعني اعطاء كسوة منتظمة او الراتب الذي يعطى لشراء الملابس وقد استخدم للدلالة على الرواتب الشهرية المنتظمة التي كانت تصرف لأفراد الجيش المملوكي وخاصة المماليك السلطانية (العميرة، 2010، صفحة 84) .

²⁷ امير طبلخاناه: يستحق صاحبها ان تضرب الطبول على بابه ويكون أمير اربعين ويتدرج في الزيادة الى ثمانين، ويعد أمير الطبلخاناه في الدرجة الثانية بين الأمراء (القلقشندي، 1992، صفحة 15، 4؛ دهمان، 1990، صفحة 106).

وفي 6 ربيع الآخر سنة (873هـ / 1468م) خرجت الحملة نحو بلاد الشام ثم بلاد دغاادر، وبعد أربعة أشهر خرجت الحملة الرئيسية التي كانت بقيادة الأمير أزيك بن ططخ حيث كان معه عدد كبير من الأمراء الذين يحملون رتباً عسكرية عالية (الصيرفي، 1970، صفحة 31).

غادرت الحملة القاهرة في 9 شعبان من السنة نفسها في ظروف سيئة للغاية، فقد تزامن خروجها مع انتشار مرض الطاعون وموت عدد كبير من الجنود في الطريق بعد خروجهم من مصر، فضلاً عن أحجام بعض الأمراء عن الاشتراك في هذه الحملة (ابن أجا، 1986، صفحة 45؛ نافع، 2005، صفحة 71) كما كان للقحط نصيب كبير في ذلك حيث واجهت هذه الحملة الغلاء في مصر ثم في بلاد الشام، إلا إن غلاء بلاد الشام كان فاحشاً (ابن إياس، 2018، صفحة 29/3)، مما اضطر السلطان إلى إرسال المواد الغذائية بواسطة المراكب عن طريق البحر المتوسط، فقد تزايدت شدة الغلاء وحدة القحط عند دخول الحملة الأراضي الدغاادية كما ساهم جنود المماليك أنفسهم بزيادة حدة الغلاء بأتلاف وتخريب ما كانوا يصادفوه من مزارع ومراعي، وتمكنت هذه الحملة في البداية من تحقيق النصر في إحدى المعارك مع شاه سوار إذ سيطرت على مضيق باب الملك⁽²⁸⁾ الذي كان تحت سيطرة شاه سوار، كما قتل مال باي الاقطع بن سليمان الدغاادي أخو شاه سوار وكثير من عسكره وأرسل رأس مال باي واثنين من أمراء شاه سوار إلى القاهرة وطيف بهما جميعاً (ابن أجا، 1986، صفحة 45؛ نافع، 2005، صفحة 71).

تعاون كل من القحط ودهاء شاه سوار على حرمان المماليك من النصر الحاسم في هذه الحملة، فقد اضطرت الحملة إلى العودة إلى حلب تحت ضغط القحط فاخترت طريقاً وعرّاً لرجوعها، حيث كمن لهم شاه سوار مع معظم جيشه في أماكن ضيقة تكثر فيها الأشجار ولا تسهل فيها الحركة، فتمكن من إلحاق هزيمة

²⁸ مضيق باب الملك: مضيق ضيق عند عقبة بغراس في جبال الامانوس بلواء الاسكندرونه شمال غربي حلب. (ابن أجا، 1986، صفحة 45).

كبيرة بالمماليك الذي قتل منهم ما لا يحصى عدده (ابن اياس، 2018، صفحة 36/3)، فكانت هذه من المعارك الشهيرة التي لم يسمع بمثلها ، فقد وصلت فلول الجيش الحلبي الهاربة من وجه شاه سوار الى حلب من ذي الحجة سنة (873هـ / 1468م) ، ثم توافد الجيش المملوكي الى القاهرة وهم في أتعس حال من شبه العري والجوع وكان بعضهم مجروح واللبعض الآخر ضعيف ومنهم من دخل راكباً على حمار او جمل أو ماشياً (ابن اياس، 2018، صفحة 36/3) حيث كانت عودة الجيوش المصرية إليها دون إذن من السلطان بالعودة (الظاهري، 2002، صفحة 339/6) ، اما الخسارة فيكفي أن نشير الى ما كتبه ابن اجا لنعرف كثرتها حيث قال " وأما من قتل من جنود المماليك السلطانية ومشايخ عربان نابلس والعشير والتركمان والغلمان فما امكن ضبطه" (ابن اجا، 1986، صفحة 46). و اضاف ابن اياس "وكانت هذه من الوقعات المشهورة التي لم يسمع بمثلها" (ابن اياس، 2018، صفحة 36/3).

كان شاه سوار على قدرة قتالية عالية جداً ، ودهاء منقطع النظير إذ تمكن من تحويل الهزيمة ، بعد أن قتل أخاه وخسر مضيق باب الملك الى نصر كبير جداً، فقد قتل من المماليك ما لا يمكن إحصاؤه من فئات الجيش المملوكي كافة الجند، المماليك السلطانية ، مشايخ عربان نابلس، العشير والتركمان وخير دليل على ان المماليك فقدوا السيطرة على الموقف عودة الجيوش المملوكية الى القاهرة دون إذن السلطان.

إن الهزائم المتكررة للجيوش المملوكية على يد شاه سوار أثرت بشكل سلبي على هيبة الدولة ، هذا ما صرح به ابن اياس بقوله "ان حرمة سلطان مصر عند ملوك الشرق قد انتهكت" (ابن اياس، 2018، صفحة 43/3).

على أثر الهزائم المتكررة التي صحبتها خسائر كبيرة جداً على يد شاه سوار فقدت السلطة هيبتها حتى ان الفلاحين الذين ليس لهم ادنى علاقة بالسياسة والمناصب العسكرية تناولوا على المماليك اصحاب السيادة

في الدولة، فقد أوضح ذلك ابن اياس " حتى ان الفلاحين طمعوا في الترك وتبهدلوا عندهم بسبب ما جرى عليهم من سوار وكادت ان تخرج المملكة عن الجراكسة" (ابن اياس، 2018، صفحة 52/3).

أما حال الناس فيكفي أن نشير الى ما كتبه ابن اجا إذ يقول "عم النعي في كل حارة ليلاً ونهاراً مثل أيام الوباء " (ابن اجا، 1986، صفحة 46) وهذا خير دليل على كثرة الخسائر فلا توجد حارة الا وفيها من قتل او اسر في حرب شاه سوار، اما موقف الجنود " ودخل الوهم في قلوب العسكر مثل ايام تيمور لنك وصاروا يرددون من ذكره" (ابن اياس، 2018، صفحة 36/3)، فقد جنود المماليك الروح المعنوية في حربهم ضد شاه سوار وكانوا يعتقدون ان المعركة ضد شاه سوار قد حسمت سلفاً لصالح شاه سوار، أراد شاه سوار بعد هذه الانتصارات ان يضفي على مملكته صفة شرعية، فأرسل رسوله الى القاهرة في 23 رمضان سنة (874هـ / 1469م) حاملاً هدايا الى السلطان المملوكي قايتباي، الذي لم يسمح لرسول شاه سوار بالصعود الى القلعة في البداية ثم اذن له بالصعود ومقابلة السلطان دون الهدية التي احضرها معه، وسلم رسالة من شاه سوار للسلطان يطلب فيها الصلح لكن بعدة شروط:

1. ان يعترف السلطان المملوكي به أميراً على اماره دلغادر.
 2. ان يمنحه امرة مائة فارس وتقدمه الف بجلب .
 3. مقابل ذلك تعهد شاه سوار بتسليم مفاتيح قلعة عينتاب للماليك .
- وصلت المفاوضات بين رسول شاه سوار، والسلطان المملوكي الى طريق مسدود إذ لم يوافق السلطان على شروط شاه سوار (ابن اجا، 1986، الصفحات 47-48؛ الصيرفي، 1970، الصفحات 163-164).
- وبعد ان علم شاه سوار رفض السلطان المملوكي شروط الصلح هاجم إمارة بني رمضان⁽²⁹⁾ المتحالفة مع

²⁹ إمارة بني رمضان: احدى الامارات التركمانية، كونت امارتها في ادنه سنة (780هـ / 1378م)، ووقف معظم امرائها الى جانب المماليك الى ان قويت شوكة العثمانيين فوقوا معهم وشاركوا السلطان العثماني سليم الاول غزو سوريا ومصر. وهم

المماليك، وأستولى في محرم سنة (875هـ/1470م) على قلعة إياس⁽³⁰⁾ التابعة لهم (ابن أجا، 1986، صفحة 48).

إن المأزق الذي دخلت فيه الدولة المملوكية من وراء فتنة شاه سوار كان وراءه عدة أسباب :

1. سوء سياسة السلطان المملوكي قايتباي تجاه شاه سوار، حيث كان بإمكانه أن يقره على الأبلستين وتخدم الفتنة، كما صرح بذلك المؤرخون المعاصرون " وكان يمكنه أن يرسل إلى الشاه سوار خلعة وهدية وتخدم هذه الفتنة، فلم يوافق على ذلك وأخذ الأمور بالعترة " (ابن أجا، 1986، الصفحات 37-38؛ ابن إياس، 2018، صفحة 7/3)، كما عمد على رد رسل شاه سوار وعدم قبول المفاوضات معه.

2. الدعم الكبير واللامحدود الذي قدمه السلطان العثماني محمد الفاتح لشاه سوار الذي مكنه من تحقيق هذا النجاح، إذ لم يتمكن أحد من أسلافه أن يحقق مثل هذا النجاح منذ تأسيس الإمارة، حيث كان هدف السلطان العثماني تهيئة الأوضاع من أجل اقتطاع الإمارة، وضمها إلى أملاك الدولة العثمانية (الزهيري، 1991، صفحة 122).

3. القدرة العسكرية الكبيرة لشاه سوار الذي تمكن من الانتصار في عدة معارك، إذ استطاع بدهائه أن يحول خسارته في المعركة إلى انتصار ويستدرج القوات المملوكية، أكثر من مرة، إلى ساحة المعركة التي يختارها ثم ينصب لهم الكمائن ويباغتهم ويحقق الانتصار عليهم.

من التركمان الأوجاقية وأول من ظهر منهم أحمد بن رمضان. (القرواني، 1992، الصفحات 105/3-108؛ لين بول، 1974، الصفحات 463/2-471).

³⁰أياس: بلدة واقعة على الساحل الشمالي الغربي لخليج الإسكندرية، وكانت فيها مدينة كبيرة وكانت الميناء الرئيسي لمملكة أرمينيا الصغرى في كيليكيا على البحر المتوسط وكان أمرها موكل إلى نائب الشام ثم جعلت إلى نائب حلب. وهي الآن ضمن الأراضي التركية. (القلقشندي، 1992، صفحة 137/4؛ موستراس، 2002، صفحة 367).

سادساً: الحملة الثالثة (875هـ/1470م)

بعد وصول الاخبار الى القاهرة انزعج السلطان المملوكي واركأن دولته وأدركوا انهم لا يمكن ان يحققوا انتصاراً على شاه سوار, وإعادة إمارة دلغادر الى املاكهم في ظل الظروف الراهنة , لذلك عمدوا الى التحرك الواسع على الصعيدين العسكري والسياسي .

1. الصعيد العسكري

أخذ السلطان قايتباي إجراءات واسعة من أجل ارسال حملة جديدة تكن ناجحة, فأرسل أولاً حملة عسكرية صغيرة بقيادة الأمير اينال الاشقر, كانت مهمتها الاستقرار في حلب وحمايتها وانتظار الحملة الكبيرة التي تقرر ان يقودها الدوادر الكبير يشبك من مهدي (السخاوي، 1992، الصفحات 272/10-274), إذ كان تحت امرته الأمير تمرار الشمسي , والأمير خايربك حديد الاشرفي , فضلاً عن عدد كبير من الامراء والمماليك , كما منح قائد الحملة صلاحيات واسعة (الصيرفي، 1970، صفحة 225), إذ وضعت شؤون الحملة بيده يتصرف كيفما شاء دون الرجوع الى السلطان في شيء , حيث منحه السلطان تخويلاً يولي من يشاء ويعزل من يشاء ويعطي الاقطاعات من يختار, كما كانت نفقاتها كبيرة حيث وضع السلطان بين يدي الأمير يشبك وارداته من الذهب والملابس والخيول والبغال والجمال , وكل ما يحتاج اليه في حملته (ابن اياس، 2018، صفحة 59/3) .

أعطيت هذه الحملة من السلاح الشي الكثير حتى قال عنها ابن اجا وهو شاهد عيان واحد افراد الحملة " وقد احضرنا معنا السلاح والمكاحل والمناجيق مالم يحضره ملك من الملوك " (ابن اجا، 1986، صفحة 92), وهذا يعني ان الحملة جهزت بكل ما تحتاجه من أسلحة فاق تجهيز جميع الحملات السابقة كما زار السلطان

الأمير يشبك في خيمته مرتين يوم سفره وتحدث معه طويلاً من وقت صلاة العشاء الى قبل طلوع الفجر (ابن اياس، 2018، صفحة 60/3)، ويبدو ان هذه الحملة كانت لها اهمية كبيرة جداً على الدولة المملوكية وعلى السلطان قايتباي الذي لم يلتزم بقواعد وعادات الملوك على حد قول ابن اياس " وقد اعيب على السلطان نزوله الى الامير يشبك في الوطاق مرتين، وهذا بخلاف عادات الملوك وقواعدهم " (ابن اياس، 2018، صفحة 60/3).

خرجت الحملة الكبيرة التي احسن السلطان اعدادها يوم الاثنين 10 شوال سنة (875هـ/1470م) من القاهرة بقيادة الامير يشبك أقدر رجال الدولة آنذاك والذي تجمعت في يديه كل السلطات بعد ان أكملت استعداداتها كافة، وكان لخروجها يوماً مشهوداً، واستمرت الحملة تخرج الى قرب الظهر، وكان العسكر افواجاً حتى سد الفضاء، وعند وصولها الى الشام انضمت إليها قوات دمشق بقيادة برقوق الظاهري، وقوات غزة، فضلاً عن تركمان الطاعة وبعض أمراء دلغادر، توجهت هذه القوات لتلاقي شاه سوار لوحده بعد أن تخلى عنه حلفاؤه العثمانيون، فتمكن من استعادة مدينة عينتاب في صفر سنة (876 هـ/1471م) بعد حصار شديد وعندما ادرك شاه سوار قرب سقوط المدينة اخذ امواله وعياله الى قلعة زمنطوا (ابن اجا، 1986، الصفحات 91-95) كما استعادت القوات المملوكية مدن أدنة وطرسوس⁽³¹⁾، ثم زحفت حتى عبرت نهر جيحون⁽³²⁾، ليصطدم الطرفان في معركة فاصلة " تشيب منها النواصي، فانكسر عسكر سوار كسرة قوية" (ابن اياس، 2018، صفحة 66/3) وهذا يدل على انها كانت معركة كبيرة فقد عرف عن شاه سوار ومن معه انهم مقاتلون اشداء ، وفي المقابل كانت القوات المملوكية كبيرة جداً، على اثر هذه المعركة هرب شاه سوار مع

³¹ طرسوس: من مدن الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم، والذي بناها سليمان خادم الخليفة العباسي هارون الرشيد ، عليها سوران وخندق واسع ولها ستة ابواب ، ويشقها نهر (ياقوت الحموي، 2007، الصفحات 28/4-29؛ موستراس، 2002، الصفحات 348-350).

³² نهر جيحون: هو من انهار الاناضول الكبرى وله روافد كثيرة وتسميه العامة جهان واليه تنسب الفتوحات الجاهانية ، ويمر بسيميس ويسير من الشمال الى الجنوب ويتجاوز المصيصة في خليج الاسكندرونه (ياقوت الحموي، 2007، صفحة 196/2؛ القلقشندي، 1992، صفحة 85/4).

عدد قليل من جنوده الى قلعة زمنطوا وكان شاه سوار قد اودع فيها اولاده وعياله وامواله منذ صفر (876هـ/ 1471م) (ابن اياس، 2018، صفحة 62/3) .

ادرك شاه سوار عدم قدرته على مقاومة الجيوش المملوكية بعد ان تخلى عنه العثمانيون، فطلب الصلح من الأمير يشبك الذي أرسل اليه وفداً يحمل هدايا ورسائل من امراء حلب والشام، فتوجه اليه القاضي شمس الدين ابن اجا⁽³³⁾ للتفاوض معه، إذ طلب شاه سوار ان يرسل مفاتيح قلعة طرنده مع احد اولاده مقابل ان يكون حاكماً عليها من قبل المماليك، الا ان السلطان قايتباي رفض واشترط حضور شاه سوار الى القاهرة ، فلم يوافق شاه سوار فوصلت المفاوضات الى طريق مسدود، واستؤنف القتال مرة اخرى (ابن اياس، 2018، صفحة 69/3؛ نافع، 2005، صفحة 74).

تابع الأمير يشبك سيره، فتمكن من السيطرة على مدنية طرنده ثم دخل مدينة الابلاستين دون مقاومة فتوجه الى قلعة خرمان⁽³⁴⁾ وأرسل اليهم الامير يشبك رسولين من اجل تسليم القلعة صلحاً الا انهم رفضوا، ثم عزم على السيطرة عليها بالقوة وشدد عليها الحصار ، فلما شارف على الاستيلاء عليها بالقوة أرسلوا يطلبون تسليم القلعة فوافق بعد ان امتنع في البداية حيث امنهم على انفسهم واموالهم، أما آلات القلعة وذخائر شاه سوار وامواله فقد اصبحت غنائم للجيش المملوكي (ابن اجا، 1986، الصفحات 143-144).

أشدت الضغط على شاه سوار بعد ما خسر عدداً كبيراً من المدن والقلاع على اثر الضربات المملوكية القوية، كما ان قسماً من جيشه تخلى عنه بسبب المتاعب التي واجهها هذا الجيش نظراً لطول مدة الحروب التي خاضها (الزهيري، 1991، صفحة 126)، فضلاً عن شدة الحصار الذي فرضه الأمير يشبك على قلعة زمنطوا، ولا سيما بعد ان تأكد من وجود شاه سوار داخلها، فقد نزل احد مماليك شاه سوار من القلعة، وتم

³³القاضي شمس الدين ابن اجا: هذا المؤرخ كان قاضي الجيش حيث رافق الحملة ضد شاه سوار ودون أحداثها فهو شاهد عيان لما حدث. (السخاوي،

1992، الصفحات 234-235)

³⁴ قلعة خرمان: لم نعثر لها على تسمية او تعريف في المصادر التاريخية والجغرافية.

القبض عليه وعندما حضر الى الأمير يشبك اعترف بوجود شاه سوار في القلعة (ابن اجا، 1986، صفحة 146؛ الغياثي، 1975، صفحة 365)، لذلك اشرف على حصارها الأمير يشبك بنفسه، وبدء ضربها بالمدافع، مما أضطر شاه سوار الى اعلان استسلامه في ذي الحجة سنة (876هـ/1471م) مع عدد قليل من جنوده (ابن اياس، 2018، صفحة 73/3).

نزل شاه سوار من القلعة بعد ان اقسام له الامراء على المصحف انه إذا نزل لن يصيبه أذى (الغياثي، 1975، صفحة 365)، ثم غدروا به وقادوه اسيراً ليدخل القاهرة يوم الاثنين 18 ربيع الاول (877هـ/1472م) وهو راكب على فرس ومقيد بالحديد ومعه عدد من اخوته واقاربه واعيان من قبض عليهم من امرائه وكانوا قريباً من عشرين وكانوا مقيدين فشق الأمير يشبك القاهرة بهذا الموكب ومعه الامراء الذين شاركوه هذه الحملة واصطف الناس على الدكاكين ليشاهدوا شاه سوار الذي قتيل الكثير من الامراء والجنود فكان يوماً مشهوداً واستمر الموكب حتى طلع الى القلعة وقابل السلطان الذي وبخ شاه سوار وعاتبه عتاباً لطيفاً وشاه سوار لا يتكلم وامر السلطان ان يسلم الى والي القاهرة الذي جعل في عنقه طوق من حديد وفيه جرس كما امر السلطان بذلك كما سَمروا اخوته واقاربه على جمال وهم شبه عرايا والمنادي ينادي عليهم هذا جزاء من يخرج على السلطان (ابن اياس، 2018، صفحة 77/3) واستمروا على هذه الحال الى ان وصلوا الى باب زويلة⁽³⁵⁾ حيث اعدم شاه سوار بطريقة الشنكلية⁽³⁶⁾ في وسط باب زويلة وكان اخوه يحيى كاور عن يمينه، واخوه اردوان الاحدب عن شماله، بينما شنكلوا اخوه الآخر حدار داخل الباب، اما اخوهم الآخر سلمان فقد

³⁵ باب زويلة: هو احد بوابات سور القاهرة التي لم يبق منها الا باب النصر والفتوح شمالاً . فعندما اسس القائد جوهر الصقلي القاهرة كان لها من جهتها الغربية بابان متلاصقان يقال لهما بابا زويلة، وفي سنة(485هـ/1092م) بنى القائد بدر الجمالي باب زويلة الكبير وعلا ابراجه وعمل في بابيه زلاقة كبيرة من حجارة الصوان عظيمة بحيث إذا هجم عسكر على القاهرة لا تثبت قوائم الخيل على الصوان، فلم تزل هذه الزلاقة باقية إلى أيام السلطان الكامل ناصر الدين الايوبي، الذي أمر بنقضها، فنقضت، وبقي منها شيء يسير، اشتهر هذا الباب بكونه المكان الذي علقت عليه رؤوس رسل هولاء، كما شنع عنده العديد من القادة والمعارضين للحكم. (المقريزي، المواعظ الاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، 1998، الصفحات 239/2-241).

³⁶ الشنكلية : نوع من انواع الاعدام يعلق المحكوم بالإعدام بكلايب معقوفة من تحت ابطه وينزف حتى الموت (ابن اجا، 1986، صفحة 60).

كان امرداً مليح الشكل، فرق الناس له، فشفع فيه الامير يشبك وأنقذه من الاعدام واستمر شاه سوار معلق يوم وليلة، والناس ينظرون اليه حتى فارق الحياة (السخاوي، 1992، الصفحات 274/3-275) .

تم اعدام شاه سوار ومن معه بموجب الفتوى التي حصل عليها السلطان المملوكي قايتباي في صفر سنة (877هـ / 1472م) بسبب خروجه عن الطاعة (ابن اجا، 1986، الصفحات 60-61؛ لين بول، 1974، صفحة ق459/2) هكذا انتهى حكم شاه سوار الذي يصفه ابن اجا وكان جميل الصورة حسن الشكل ومخايل الحشمة والرئاسة محصورة فيه، وكان من اعظم اولاد دلغادر (ابن اجا، 1986، صفحة 61).

2. الصعيد السياسي

ان الانتصار العسكري الذي حققه الأمير يشبك لم يكن ليتحقق لو لم يرافق ذلك عملاً على الصعيد السياسي، فقد تمكن المماليك من كسب ود أكبر حليف لشاه سوار هو السلطان العثماني محمد الفاتح، فقد أرسل السلطان المملوكي قايتباي وفداً الى أستانبول من اجل توثيق العلاقات بين الطرفين والتسليم بمطالب العثمانيين كلها ولاسيما ما يتعلق بإمارة قرمان⁽³⁷⁾، ثم كتب السلطان المملوكي قايتباي الى السلطان العثماني محمد الفاتح يعرض عليه ان تكون له - للفاتح - جميع بلاد شاه سوار، على أن يكف عن مساعدته ويتخلى عنه حتى يظفر به المماليك ويصيبوا منه ثأرهم، وقبل السلطان محمد الفاتح هذا العرض، وما كان من السلطان المملوكي قايتباي، إلا أن كتب الى أمراء دلغادر وكبار رجالات شاه سوار وفرق عليهم الأموال، وأخبرهم بأن السلطان محمد الفاتح تخلى عن نصرة شاه سوار، فتخلوا عن نصرته وأنقلب بعضهم عليه، كما وصل رسول السلطان العثماني الى القاهرة في محرم سنة (875هـ / 1471م) ينقل أنباء انتصار العثمانيين في بلاد الفرنجة والبنادقة (ابن اياس، 2018، الصفحات 53/3-60؛ الصيرفي، 1970، صفحة 199).

³⁷ امارة قرمان: احدى الامارات التركمانية التي قامت على انقاض سلطنة سلاجقة الروم التي حكمت خلال الحقبة (654-888هـ / 1256-1483) وكانت أقوى الامارات التركمانية بعد الدولة العثمانية وانقرضت على يد الدولة العثمانية. (القرماني، 1992، الصفحات 511/2-512؛ لين بول، 1974، الصفحات ق435/3-444).

وفي رمضان من السنة التالية حضر الى القاهرة رسول اخر من قبل العثمانيين كانت مهمته سرية, حيث اجتمع به السلطان المملوكي على انفراد في 24 رمضان على مائدة الافطار فلم يسمح لاحد بمشاركتهم (الصيرفي، 1970، الصفحات 411-412).

نتج عن الاجتماع تسوية الخلافات بين الطرفين من اجل مواجهة العدو المشترك المتمثل بإمارة الاق قوينلو, وتقاسم مناطق النفوذ المتنازع عليها فتكون إمارة قرمان للعثمانيين, اما إمارة دغاغر فتكون من نصيب المماليك (الزهيري، 1991، صفحة 125)، ان تخلي المماليك عن إمارة قرمان أتاح للعثمانيين حرية التحرك العسكري ضد هذه الإمارة, فتمكنت القوات العثمانية من السيطرة عليها (نافع، 2005، الصفحات 74-75). ان التقارب المملوكي العثماني جاء بعد ظهور إمارة الاق قوينلو بشكل خطير هدد فيه كلتا الدولتين لا سيما بعد قضاء زعيمها اوزون حسن على إمارة القره قوينلو سنة (872هـ/1467م) وضم إمارتهم الى املاكه (الغياثي، 1975، الصفحات 378-380؛ الجواهري، 1990، صفحة 31), ثم تمكن من هزيمة التيموريين واسقاط دولتهم سنة (873هـ/1468م) لتتحول إمارة الاق قوينلو الى قوة سياسية كبرى تشمل مناطق واسعة من شرق الاناضول، وإذربيجان، والعراق، وبلاد فارس وبلاد ما وراء النهر كما زادت مخاوف العثمانيين بعد تأكدهم من تحالف اوزون حسن مع البنادقة إذ اتفق معهم على تزويده بصفقة اسلحة وذخيرة (ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، 1990، الصفحات 712/3-714؛ الزهيري، 1991، صفحة 123).

بعد اتفاق مصالح الطرفين قرر العثمانيون التخلي عن شاه سوار, فبعد خمسة عشر يوماً من اجتماع الرسول العثماني بالسلطان المملوكي خرجت حملة الأمير يشبك التي أنهت تمرد شاه سوار, لم يقف التعاون المملوكي العثماني عند هذا الحد , بل ان السلطان العثماني محمد الفاتح رفض استقبال رسل شاه سوار الذي

وصلوا استانبول لمقابلته, كما بعث بهدية مع رسوله الى الأمير يشبك فوصل الرسول والقتال دائر بين الأمير يشبك وشاه سوار حيث أعرب الرسول عن سعادة السلطان العثماني بوصول الجيوش المصرية, كذلك طلب ان تصله الاخبار أولاً بأول , وعرض تقديم المساعدة للجيش المملوكي ان اقتضت الحاجة (ابن اجا, 1986, صفحة 145؛ الزهيري, 1991, الصفحات 125-127).

كما أستطاع المماليك بالعمل السياسي أيضاً من تحييد أوزون حسن في حربهم ضد شاه سوار على أثر إرسال سفارة الأمير ابن اجا قاضي الجيش اليه, حتى انه عرض تقديم المساعدة للمماليك في حربهم ضد شاه سوار, ان سفارة ابن اجا الى اوزون حسن كانت فرصة ينتظرها الأخير, لأنه كان يريد كسب ود المماليك في هذه الحقبة ليتمكن من استخدام أراضيهم للوصول الى البحر المتوسط من أجل الحصول على المساعدات الاوربية (ابن اجا, 1986, الصفحات 106-125), بهذا العمل العسكري الذي رافقه تحرك سياسي ناجح تمكن المماليك من القضاء على تمردات شاه سوار التي انهكت الخزينة , وقللت من هيبة المماليك في عين جيرانهم اما الخسائر بالأرواح فهي فوق الحصر والعد.

الخاتمة

بعد الانتهاء من دراسة "موقف السلطان المملوكي الاشرف قايتباي (872 - 901هـ/1467-1496م) من

تمرد الامير الدلغادري شاه سوار" توصلت الدراسة الى النتائج الآتية:

حكمت إمارة دلغادر حوالي مئتي سنة في مرعش والابلستين وما حولها، وتعاقب على حكم الإمارة

عشرة أمراء كان لقسم منهم أثر كبير في الأحداث السائدة في المنطقة جراء كثرة حروبهم وخروجهم على

الدولة المملوكية وتحالفاتهم الخارجية، وانتهت حياة اغلب هؤلاء الأمراء عن طريق الاغتيال السياسي أو

الإعدام - من قبل المماليك الذين كانت الإمارة احد توابعهم وامتداداً لأراضيهم .

توصلت الدراسة الا ان الحقبة الزمنية قبيل وصول السلطان المملوكي قايتباي الى السلطة قد شهدت

اختلالاً في ميزان القوى فلم تعد الدولة المملوكية هي صاحبة الكلمة العليا في المنطقة بعد ظهور الدولة

العثمانية على مسرح الاحداث ولا سيما بعد محاولة الامير الدلغادري ملك ارسلان التقرب منهم الذي كلفه

هذا التقرب حياته فقد اغتيل في القاهرة. وهذا يعني ان المماليك لم يسمحوا لاحد من امراء دلغادر الخروج

عن سلطتهم.

كان الامير الدلغادري شاه سوار صاحب شخصية سياسية وعسكرية قوية جداً فقد تمرد على المماليك

في ظروف تمكن من الاستفادة منها في حربه ضدهم فقد كانت الدولة المملوكية تمر بأصعب ظروفها فبعد

مرض السلطان خشقدم ثم وفاته تعاقب على حكم الدولة ثلاثة سلاطين في مدة اقل من اربعة اشهر .

كما بينت الدراسة ان السلطان المملوكي قايتباي كان شخصية قوية ولم يقبل بخروج اماره دلغادر عن

تبعيتها للمماليك، فبعد وصوله للحكم ورغم الظروف الصعبة جدا التي تمر بها الدولة المملوكية من القحط

الذي ضرب البلاد وفراغ الخزينة من الاموال تمكن من ارسل ثلاث حملات عسكرية خرجت من القاهرة الى بلاد الشام ومن هناك التحقت بها قوات الشام الى الاراضي الدلغادية.

كان النصر في الحملة الاولى والثانية حليف الامير الدلغادي فقد تعاون كل من القحط ودهاء شاه سوار على حرمان المماليك من النصر الحاسم في هذه الحملات رغم كثر الاستعدادات وكثرة الجيش المملوكي الا ان الامير الدلغادي كان خبيراً بالحروب فقد استدرج الجيش المملوكي في الاماكن الضيقة والمنحدرات معتمداً على اسلوب الحرب الخاطفة فقد انتصر على الجيوش المملوكية رغم الفارق الكبير بالعدد والعدة.

على الرغم من الخسائر الكبيرة التي تعرض لها المماليك لم يرضى سلطانهم قايتباي بخروج اماره دلغادر عن سيطرته فقد ارسل الحملة العسكرية الثالثة واوكل مهمتها الى اقدر القادة العسكريين هو الامير يشبك من مهدي بعد تزويده بصلاحيات واسعة تمكنت من انتهاء تمرد شاه سوار والانتصار عليه وجلبه اسيراً الى القاهرة واعدامه مع عدد كبير من رجاله وقسم من اخوته عند باب زويله.

ان الانتصار العسكري الذي حققه الأمير يشبك لم يكن ليتحقق لو لم يرافق ذلك عملاً على الصعيد السياسي, فقد تمكن المماليك من كسب ود أكبر حليف لشاه سوار هو السلطان العثماني محمد الفاتح كما أستطاع المماليك أيضاً من تحييد أوزون حسن في حربهم ضد شاه سوار على أثر إرسال سفارة قاضي الجيش الأمير ابن اجا, حتى انه عرض تقديم المساعدة للمماليك في حربهم ضد شاه سوار.

المصادر والمراجع

- ابن اجا، محمد بن محمود الحلبي ، (1986). العراق بين المماليك والعثمانيين الاتراك رحلة مع الامير يشبك بن مهدي الدودار. (تحقيق: محمد احمد الدهمان) دمشق: دار الفكر للطباعة والنشر.
- ابن اياس، محمد بن احمد الحنفي، (2018). بدائع الزهور في وقائع الدهور. (تحقيق: محمد مصطفى) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن ،(1990). حوادث الدهور في مدى الايام والشهور. (تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين) عالم الكتب.
- ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن. (1984). المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي. (تحقيق: محمد امين) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن ، (1997). موارد اللطافة في من ولي السلطة والخلافة. (تحقيق: نبيل عبد العزيز احمد) القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية.
- ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن، (1992). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. (تحقيق: محمد حسين شمس الدين) بيروت: دار الكتب العلمية.
- الجبوري، صالح احمد صالح (2012). دور الجوامع والمساجد في التعليم في مصر في عهد المماليك البحرية. مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، كركوك، (المجلد 7/العدد 3).

الجواهري، عماد (1990). صراع القوى السياسية في المشرق العربي من الغزو المغولي حتى الحكم العثماني. الموصل: دار ابن الاثير للطباعة والنشر.

الخطيب، مصطفى عبد الكريم ، (1996). معجم المصطلحات والالقاء التاريخية. بيروت: مؤسسة

الرسالة

دهمان، محمد احمد، (1990). معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي. بيروت: دار الفكر المعاصر.

الزهيري، حنان جاسم محمد (1991). العلاقات السياسية المملوكية التركمانية خلال عهد المماليك الجراكسة (748-923هـ/1382-1517م). الموصل: رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الآداب.

السبكي تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين. (1986). معيد النعم. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

الساوي، محمد بن عبد الرحمن، (1992). الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.

الصيرفي، علي بن داود الجوهري ، (1970). انباء الهصر بأبناء العمر. (تحقيق: حسن حبشي) القاهرة: دارالكتب.

الظاهري، زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين، (2002). نيل الامل في ذيل الدول. (تحقيق: عمر عبد السلام تدمري) بيروت: المكتبة العصرية.

العمارة، محمد عبدالله سالم (2010). المعجم العسكري المملوكي. عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

الغياثي، عبدالله بن فتح الله البغدادي ، (1975). تاريخ الغياثي. (تحقيق: طارق نافع الحمداني) بغداد: مطبعة اسعد.

القرماني، أحمد بن يوسف. (1992). أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ. (تحقيق: احمد حطيحط وفهمي سعيد) بيروت: عالم الكتب.

القلقشندي، احمد بن علي (1992). صبح الاعشى في صناعة الإنشا. (تحقيق: محمد شمس الدين) القاهرة: دار الكتب المصرية.

لين بول، ستانلي ، (1974). الدول الاسلامية. (نقله من التركية الى العربية: محمد صبحي فرزات، اشرف على الترجمة وعلق عليه: محمد احمد دهمان) دمشق: مطبعة الملاح.

محمد ، جاسم محمد جاسم. (بلا تاريخ). الأهمية السياسية والعسكرية لقيام دولة المماليك البحرية في مصر وبلاد الشام 648-784هـ/1250-1382م. مجلة جامعة كركوك/ للعلوم الانسانية، كركوك، المجلد6، العدد1.

موستراس، س. (2002). المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية. (ترجمة: عصام محمد الشحات) بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع.

نافع، غيثاء احمد ، (2005). العلاقات العثمانية المملوكية (868-923هـ/1464-1517م). بيروت: المكتبة العصرية.

ياقوت الحموي شهاب الدين بن عبدالله (2007). معجم البلدان. بيروت: دار صادر للطباعة والنشر.